جبر الخواطر منهج رباني

جبر بخاطر نبي الله يعقوب فرد إليه يوسف.

جبر بخاطر أم موسى _عليه السلام_ فرد إليها موسى _عليه السلام_، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [11]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ [12]

جبر بخاطر نبي الله زكريا، فوهبه يحيى بعدما كبر.

ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ﴾ [13]

رسول الله ﷺ الذي أحب مكة التي ولد فيها ونشأ بها، وهذا أمر فطري في النفس، فأُخرج رسول الله منها ظلماً وكان أمراً صعباً عليه جداً، لذا

---

[11] القصص: ١٣

[12] القصص: ٧

[13] القصص: ٨٥

كان يقول ﷺ لِمَكَّةَ: مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وأَحبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ.[14]. فاحتاج النبي في هذا الموقف الصعب وهذا الفراق الأليم إلى شيء من المواساة والصبر، فأنزل الله تعالى له قرآن مؤكد بقسم؛ (إن الذي فرض عليك القرآن وأرسلك رسولا وأمرك بتبليغ شرعه سيردك إلى موطنك مكة عزيزا منتصرا) وهذا ما حصل.

وقال عيسى _عليه السلام_: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [15]. فرفعَ يديهِ وقال اللهمَّ! أُمَّتي أُمَّتي وبكى. فقال اللهُ عزَّ وجلَّ: يا جبريلُ! اذهب إلى محمدٍ، _وربُّكَ أعلمُ_، فسَلهُ ما يُبكيكَ؟ فأتاهُ جبريلُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ فسَألهُ. فأخبرهُ رسولُ الله _ ﷺ _ بما قالَ. وهو أعلمُ. فقال اللهُ: يا جبريلُ! اذهبْ إلى محمدٍ فقلْ: إنَّا سنُرضيكَ في أُمَّتكَ ولا نَسُوءُكَ.

فسبحانه وتعالى ما أجمله!

---

[14] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ

[15] المائدة: ١١٨

ومثله أيضاً قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [16]

وانظر لروعة العطاء المستمر في هذه الآية حتى يصل بالمسلم لحالة الرضا، فهذه الآية رسالة إلى كل مهموم ومغموم، وتسلية لصاحب الحاجة، وفرج لكل من وقع ببلاء وفتنة؛ أن الله يجبر كل قلب لجأ إليه بصدق.

وقد شرع الله لنا أموراً من أجل جبر الخواطر وتطييب النفوس، لذا أمر الله _عز وجل_ عند مشاهدة بعض الفقراء أو اليتامى شيئاً من قسمة الميراث فمن الأفضل أن يخصص لهم من المال شيئاً يجبر خاطرهم ويسد حاجتهم حتى لا يبقى في نفوسهم شيء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٨﴾. [17]

وأمر الله نبيه محمد والأمة من بعده أنه إذا جاءك سائل وليس عندك ما تعطيه له فقل له قولاً ليناً ميسوراً جبراً لخاطر هذا السائل، وتطييباً لنفسه.

---

[16] الضحى: ٥

[17] النساء: ٨

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [18]

وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ ﴾ [19]، وهذا من أجمل تطييب الخاطر وأرقى صورة للتعامل. قال ابن قدامه _رحمه الله_: "وكان من توجيهات ربنا _سبحانه وتعالى_ لنبيه _ ﷺ _ هذه الآية، فكما كنت يتيماً يا محمد _ ﷺ _، فآواك الله، فلا تقهر اليتيم، ولا تذله، بل طيب خاطره، وأحسن إليه، وتلطف به، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك، فنهى الله عن نهر السائل، بل أمر بالتلطف معه، وتطييب خاطره، حتى لا يذوق ذل النهر مع ذل السؤال". [20]

وقد عاتب الله نبيه محمد _ ﷺ _ لأنه أعرض عن عبدالله ابن أم مكتوم وكان رجل أعمى عندما جاءه سائلاً مستفسراً قائلاً: علمني مما علمك الله، وكان النبي _عليه الصلاة والسلام_ منشغلاً بدعوة بعض صناديد قريش، فأعرض عنه لأن النبي يرى أن عبد الله ابن أم مكتوم رجل

---

[18] الإسراء: ٢٨

[19] الضحى: ٩ – ١٠

[20] (تفسير ابن كثير) ٩/ ٤٢٧.

مسلم مؤمن، فالأولى أن يلتفت ويدعو هؤلاء كبار قريش، لأن بإسلامهم خير كبير، وهم متبعون في قومهم وأصحاب كلمة مسموعة، لذا رأى أن هذا من المصلحة للإسلام، ورغم ذلك لمّا أعرض عن عبدالله عاتبه الله _عز وجل_، فأنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾ عبس: ١ - ٤ [21] قال القرطبي في التفسير: "فعاتبه الله على ذلك؛ لكي لا تنكسر قلوب أهل الإيمان" [22]

وكذلك يطيب خاطر المطلقة بالتمتيع، وهو حق على المحسنين، متاعاً بالمعروف، فإذا لم يفرض لها مهر كان المتاع والتمتيع واجباً على المطلق، وإذا كان لها مهر أخذته، فإن تمتيعها بشيء تأخذه معها وهي ترتحل من مال غير المهر، أو ثياب، أو حلي، ونحو ذلك؛ جبراً لخاطرها، وتطييباً للقلب المنكسر بالطلاق، (مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ) سورة البقرة، لماذا؟ لأن القلب قد يكون حصل له ألم، والنفس قد كُسرت وكسرها طلاقها، فجبر الكسر بالمتاع من محاسن دين الإسلام العظيم.

---

[21] التفسير البسيط للواحدي) ٢٣/ ٢١٠.

[22] (تفسير القرطبي) ٢٠/ ٢١٣.

إن رحلة الإسراء والمعراج كان قد سبقها سنوات صعبة في مكة ثم تلاها عام الحزن، حيث حدثتْ للرسول _ ﷺ _ مصيبتان كبيرتان في السنة (العاشرة من البعثة)، أمَّا الأولى فهي موت أبي طالب، عمِّ رسول الله _ ﷺ _، والسند الاجتماعي له، وأمَّا الثانية فهي وفاة خديجة _ رضي الله عنها _، زوج رسول الله _ ﷺ _ والسند العاطفي والقلبي له، فحينما وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان خلال أيَّام معدودة، ازدادت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله _ ﷺ _، وزاد عليه ما كان مِن تجرُّؤ المشركين عليه؛ حيث كاشفوه بالنكال والأذى بعد موت عمِّه أبي طالب.

وقد ازداد رسول الله _ ﷺ _ غمًّا على غمٍّ حتى يئس من قريش، وخرج إلى أكبر القبائل بعد قريش؛ وهي قبيلة ثقيف بالطائف؛ رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يُئووه وينصروه على قومه، فلم يرَ ناصراً ولم يرَ مَن يؤويه، وقد قال له أحدهم: أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك؟ وقال آخر: والله لا أُكلِّمك أبدًا... لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أردَّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك! وهنا قام رسول الله _ ﷺ _ من عندهم وقد يئس من خيرهم.

وليتهم سكتوا عنه وأغلقوا أفواههم، بل تطاولوا عليه _ ﷺ _، وأَغْرَوْا به سفهاءهم الذين رَمَوْهُ بالحجارة، حتى دَمِيَتْ قدمه الشريفة، ولما عاد رسول الله _ ﷺ _ إلى مكة حزيناً كسيرَ النفس لم يستطع أن يَدْخُلهَا إلاَّ في جوار مشرك، وهو مطعم بن عديّ، وفي هذه الظروف العصيبة والمحن المتلاحقة؛ في الطائف وفيما سبقها من وثيقة المقاطعة والحصار، ووفاة سَنَدَي الرسول الكريم رسول الله _ ﷺ _ العاطفي والاجتماعي، زوجه السيدة خديجة _ رضي الله عنها _ وعمه أبي طالب؛ وبعد أن ضاقت به الأرض من المشركين اتَّسعت له أفق السماء، وجاءت معجزة الإسراء والمعراج. تلك المعجزة الربانية، التي اختار الله سبحانه وتعالى لها رسوله محمد _ ﷺ _ دون بقية الأنبياء وذكرها في القرآن، وفيها اطلع النبيَّ _ ﷺ _ على كثير من الأمور الغيبية مثل الجنة والنار والملائكة وغيره مما لا يعلمه إلا الله عز وجل.

وكانت رحلة الإسراء والمعراج مواساة للنبي وتكريما له؛ لتكون بذلك منحة ربانية تمسح الأحزان ومتاعب العام الماضي المسمّى تاريخيّاً بعام الحزن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى

ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[٢٣]. فكانت هذه الرحلة والمعجزة العظيمة جبراً لخاطر النبي ومواساةً له.

وكذلك شرعت الدية في قتل الخطأ؛ لجبر نفوس أهل المجني عليه، وتطييباً لخواطرهم.

وحرم الله _ﷻ_ الأكل في آنية الذهب والفضة؛جبرا لخاطر الفقراء والمساكين.

كل ذلك وغيره من أجل جبر خواطر الناس.

فسبحانه الذي جبر الفقير فأغناه، وجبر المريض فشفاه، وجبر الخاسر فعوضه، وجبر المحروم فأعطاه.

فسبحانه الذي يجبر ويطيب خواطر عباده.

[23] الإسراء: ١